١- هذه المجموعة من البحوث كتبتها في دول عربية متعددة، وفي أوقات مختلفة، وفي أحوال اجتماعية متباينة وظروف نفسية متأرجحة بين؛الأفراح والأحزان والاستقرار والاضطراب، والانتصار والإخفاق، والإقدام والإحجام، ثم نشرت في مجلات علمية محكمة، وفي سنوات متباعدة، وعلي الرغم من هذا التباين الواضح، والاختلاف القائم، فإن هناك قاسم مشترك يربط هذه البحوث ويوحد فيما بينها، ويجمعها في وحدة عضوية متجانسة؛وأعني به المنهج العلمي الساري بين سطور البحوث، والنزعة العقلية التي تناقش المشكلات السياسية والاجتماعية والفلسفية بعمق، وتحليل جوانب القضية التي نحن بصدد مناقشتها، علاوة على الحس النقدي الذي يقف أمام القضايا بصبر وتؤدة ودون تعجل لفرز الغث من السمين، وإظهار الحق من الباطل والحقيقة من الأساطير.

٢- نود أن نتوقف أمام هذه البحوث بقدر من الشرح والتحليل، لنشير إلى بعض الملابسات والدوافع التي كانت وراء كتابتها، والأسباب التي دعتنا إلى ذلك، وهذا يعطي خلفية تاريخية ومعرفية ونفسية للقارئ كي يعيش هذه الأجواء، ويتمثل المواقف.

فقد كتبت هذه البحوث في ظروف سياسية متقلبة، وسياسات متناقضة واتجاهات اجتماعية متفاوتة، وتجارب اقتصادية متعارضة ألمت بمصر المحروسة وبالوطن العربي الكبير.

ومن المعلوم أننا جميعا نتاج المكونات البيئية، والمحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه، والثقافة السائدة والاتجاهات السياسية، والمذاهب الاقتصادية، هذه المؤثرات المختلفة

سواء أكانت متجانسة أم متعارضة، تنساب في أعماقنا شئنا أم أبينا، وتتسلل إلي وجداننا، وضمائرنا وعقولنا، بطريقة شعورية ولا شعورية، ثم تفعل فعلها بعد ذلك، فحينما يكتب الكاتب يشعر كأنما هناك من يملي عليه، ويوجهه، ويمنحه الأفكار، ويزوده بالمعلومات، إنه واقع تحت تأثير «قوة خفية» تهبط بالآراء والفلسفات بل حتى بالمفردات اللغوية التي تظهر فجأة مثل زنابق الحقل وقد تدفقت من اللاشعور، أضف إلى ذلك فإن هذه المؤثرات المتعددة ينعكس أثرها على شخصية الكاتب، وتحدد منهجه وفلسفته في الحياة، كذلك تشكل رؤيته للأحداث والمواقف والشخصيات.

لذلك نعتقد من المهم بمكان ذكر تاريخ كل بحث والفترة الزمنية التي كتب فيها، إذ يستطيع الإنسان أن يتبين الخلفية الحضارية التي كتب فيها والملابسات الضاغطة على الكاتب، فالذي يكتب في المرحلة الناصرية، غير الذي يكتب في المرحلتين التي أعقبت ذلك، إذ لكل مرحلة سماتها السياسية والاقتصادية وكذلك الاجتماعية ليس هذا فحسب بل إن الفنون والآداب تتشكل رؤيتها تبعا لذلك وهذا أمر مشاهد ومعلوم ومقرر عند علماء الاجتماع والسياسة.

٣- قسمت البحوث إلي قسمين، الأول نظري، طرحت فيه بعض تصوراتي لأسلوب الحوار الذي أعتقد من الأفضل أن يسود بيننا واجتهدت في وضع بعض الأسس والضوابط لهذا الحوار والنقاش الذي نود ألا يتوقف، وعلي الجملة طرحت قواعد منهجي الذي آمل في صوابه، وقد استخلصته من تجارب الحياة ومن المؤثرات الفكرية التي أشرنا إليها، وهو يتسم بالتسامح ورحابة الأفق وسعة الصدر وقبول الآخر وعفة اللسان معه مهما يكن من شأن الخلاف المذهبي أو الطائفي ، فالإسلام دين حضاري يتسع صدره لنا جميعا مهما كانت هوة الخلاف بيننا، ومبادئه التنويرية العظيمة أرحب من عقولنا مجتمعه، وعلينا أن نتجاوز المرحلة السيئة التي قرأنا عنها عند كتاب المقالات مثل الأشعري (ت٣٣٠هـ)وعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٨هـ)وابن حزم (ت٤٥٦هـ) وغيرهم من مؤرخي علم الكلام والطبقات، الذين كانوا يرمون خصومهم

بتهمة «الزندقة والكفر» لأبسط قدر من الخلاف، ويثيرون معارك صاخبة ومفتعلة مثل قضية خلق القرآن لم تكن تستحق كل هذا العراك والصراع لاسيما ونحن جميعا مسلمون.والإسلام دين أخوة ومحبة وتسامح.

هذا القسم النظري اشتمل على بحثين؛ الأول، بعنوان «منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي» وقد كتبته في أثناء تدريسي في المعهد العالي لأصول الدين ـ بجامعة الجزائر، ليكون دليلا للنقاش الحر، وأسلوبا علميا نقتدي به، ومنهجا راسخا نتبع أسسه، ونتحاور من منطلقه، وقد وضعته بعد أن لاحظت أن كثيرا من المتحاورين يضيق صدره برأي الآخر، ولا يتسع أفقه لسماع حجج المناظر له، فضلا عن قبولها، كذلك وجدت عند طلابي قدر كبير من الخشونة في الحوار و، أسلوب جاف في التعامل مع أساتذتهم وعدم التسامح مع زملائهم من المذاهب الأخرى.

– أذكر أنني كنت أقوم بشرح قضية رؤية الله، وقمت بعرض الأدلة النقلية والعقلية للمثبتين للرؤية وبقدر كبير من التفصيل، ثم عدت وعرضت حجج نفاة الرؤية النقلية والعقلية، مع التمثيل للفرق والمذاهب ، ثم وقفت على الحياد دون أن أرجح مذهبا على آخر، واحتفظت برأيي لنفسي، مراعيا مشاعر أنصار المذهبين، المذهب المالكي والمذهب الإباضي، وفجأة وقف أحد الطلبة، وقال:إن من الواجب أن أقرر ثبوت الرؤية لأنها مؤكدة بالقرآن والسنة.

قلت بهدوء:إن القضية قديمة ومختلف فيها ولكل وجهة نظره من الكتاب والسنة، وقد عرضت الرأيين بحياد كامل وكل منا عليه أن يعتقد بما يشاء دون أن يصادر الرأي الآخر.

قال الطالب:إن الرأي الصواب هو إثبات الرؤية، ويجب عليّ أن أعلن ذلك أمام الملأ، لأن أدلة المثبتين أقوى من أدلة النفاة.

قلت وصبري يكاد ينفد:إذا كنت أعطيتك حق الاعتقاد بما تشاء، وبما تميل نفسك إليه وعقلك ، فمن باب أولى أن تعطيني الحرية في أن أعتقد ويعتقد غيري ما يشاء،

obeikandi.com

وبخاصة أن القضية ليست أصلا من أصول الدين والخلاف فيها مشهور وعلينا أن نهتم بالقضايا الجوهرية التي تمس حياة المسلم مباشرة وتؤثر في وجوده.

- وموقف آخر، كنت أتكلم عن أن طبيعة النفس الإنسانية جبلت على طلب المساواة مع الآخرين، ثم قلت وقد أيد هذا الرأي الأستاذ العقاد في كتابه «أنا» ، فانبرى أحد الطلبة ورد عليّ قائلا:يا شيخ لا يوجد للعقاد كتاب بهذا الاسم!!

فأجبت بحدة قائلا له:يا بني أولا يجب ألا تقاطعني هكذا، ثانيا يجب أن تقول لو سمحت يا أستاذ أو يا دكتور أو من فضلك، ثالثا لقد أجملت الموضوع ولم أشأ الشرح، وحقيقته أن العقاد ترك مجموعة مقالات بعد وفاته، فقام الأستاذ محمود الطناحي بجمعها ونشرها في كتاب الهلال واختار لها هذا الاسم.

فرد الطالب:نحن بدويون، ولا نعرف هذا الأسلوب المتحضر الذي تتعاملون به.

على أنني لا أخفي إعجابي بطلابي النبهاء وباطلاعهم الواسع وارتيادهم للمكتبات، وتكوينهم العلمي المتميز، ومنهجيتهم في الحوار، وجرأتهم في تناول القضايا، والحرية الفكرية الواسعة التي كانوا يتمتعون بها .

أما البحث الثاني فهو بعنوان «الحوار سمة حضارية» وقد كتبته بناء على تكليف من إدارة معهد العلوم الشرعية، بمسقط، للمشاركة في أحد المؤتمرات العلمية، ولكن ألغي المؤتمر وكنت قد أعددت البحث؛ وهو يدور في الإطار السابق ويوضح أهمية الحوار ودوره في إخصاب الفكر العربي الإسلامي والإنساني، وتنمية جوانب العلاقات الإنسانية بين المتحاورين، ويلقي نظرة تاريخية لأهم الحوارات والندوات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بخاصة والفكر الإنساني بعامة، مع الإشارة إلى أهم الأسس التي علينا أن نلتزم بها ما دمنا بصدد حوار علمي ونريد أن نصل إلى كلمة سواء.ولاشك أن هذه الأسس قابلة للمناقشة والرد والنقد والرفض، أيضا لمن يريد أن يقومها أو ينقدها .

٤- القسم التطبيقي، وهو مجموعة البحوث التي كتبتها حول بعض الشخصيات الفكرية، مسيحية وإسلامية، وعرضتها حسب التسلسل التاريخي، وحاولت أن

أطبق قواعد المنهج الذي طرحته قدر الاستطاعة البشرية.وألتزم التزاما واسعا بأسس الحوار الذي عرضته للنقاش، وناديت به في كتاباتي حسب طاقتي الإنسانية. وهذا القسم يحتوي على البحوث الآتية:

أ- وقفة مع «القديس أوغسطين وفلسفته» وقد شد انتباهي إلى فلسفته ما كتبه عنه «أتين جيلسون» بأسلوبه الرائع وعرضه الشيق وتبسيطه لأبعاد فلسفته الحانية الدافئة المحبة.ثم تلا ذلك ما كتبه يوسف كرم وأستاذنا حسن حنفي وآخرون.وعندما عكفت على قراءة كتابه الاعترافات، أعجبت بأسلوبه الأدبي وشعوره الديني القوي وحماسته للدفاع عن مبادئ المسيحية، وفلسفته العميقة التي تلامس حقائق الحياة وتعانق مشكلات الوجود.

وفي هذا البحث نوهت بنبذة عن حياته، وناقشت جملة من آرائه المتعلقة بوجود الله وصفاته، وحرية الإرادة الإنسانية، ووجود الخير والشر وكيف دخل الشر إلى الوجود؟، وطبيعة النفس وخلودها، وسبل تحقيق السعادة، وقارنت بينه وبين بعض الشخصيات الإسلامية مثل الفضيل بن عياض والإمام الغزالي.

ب- البحث الثاني بعنوان «صالح بن عبد القدوس حكيم الشعراء» وكنت قد اخترته ضمن مجموعة من المفكرين المسلمين الذين لاقوا حتفهم في الحضارة العربية الإسلامية ، وعلى ما أعتقد أنهم قتلوا لأسباب سياسية ، ولكي تسوغ السلطة الحاكمة حادثة القتل عللت ذلك بالأسباب الدينية، واتهام هؤلاء المفكرين بتهمة الزندقة التي شاعت في العصر العباسي، وقد نشرت المجموعة الأولي في كتابي «شهداء الفكر في الإسلام» بالجزائر واليمن، وكنت أنوي أن أكتب المجموعة الثانية وكان في مقدمتهم الشاعر صالح بن عبد القدوس، ولكن صرفتني أحوال الحياة وتقلباتها، وشُغلت بموضوعات أخرى.

وقد تناولت نبذه عن حياته، ووقفت طويلا عند شعره الديني الذي يعبر عن إيمانه العميق، وفلسفته في الحياة، وموقفه من قضايا الوجود والسياسة، علاوة على أنه يتسم بعمق الفكرة، وينضح بالحكمة ويعلو من شأن القيم الخلقية.

ثم توقفت طويلا أمام تهمة الزندقة التي وجهت إليه وناقشتها مناقشة علمية واسعة، عارضا أدلة المثبتين للتهمة، وبراهين المدافعين عنه الذين يؤكدون تبرئته، وعقدت له محاكمة طويلة منصفة، وخرجت بنتيجة مؤداها أن الرجل برئ، وواقعة القتل تمت لأسباب سياسية.والقضية قابلة للنقاش ومن حق كل ناقد أن يعارض هذا الرأي ويرفضه، شرط أن يعرض حيثياته وأدلته دون تجريح.

ج – البحث الثالث، بعنوان «الفلسفة الطبيعية عند الإمام أحمد بن يحيى المرتضي» ، وهو بحث جاف، في موضوعه وأسلوبه، نظرا لتناوله حقيقة العالم والعناصر المادية التي تكون منها، ويتعرض لقضية قدمه وحدوثه، ويعرض آراء الفلاسفة اليونانيين والمسلمين، وقد شارك علماء الكلام في هذه القضية، ومنهم الإمام أحمد.

وهذا البحث المرجعي من متطلبات الترقية لدرجة «أستاذ في الفلسفة» كتبته بتكليف من لجنة الفلسفة للترقيات.

د– أما البحث الأخير فهو بعنوان «جمال الدين الأفغاني رائدا للتنوير» ، والأفغاني من الشخصيات الكبيرة التي شغلت الفكر العربي الإسلامي، وأعدت حوله دراسات واسعة، منها التي قدحت في شخصيته واتهمته بالتشيع والغموض، ومنها هذه الدراسة التي وقفت في مربع الإشادة به والدفاع عنه وعن أفكاره ودعوته للحرية وإعمال العقل، وإذا كان الأفغاني لم يخلف إلا تلميذا واحدا وهو الإمام محمد عبده فيكفيه ذلك فخرا ويدخله في سجل الخلود.

وقد تناولت نبذة عن حياته مختصرة ونظرة إلى مؤلفاته القليلة، ومنهجه العقلي المحكم، ثم توقفت طويلا أمام آرائه وفلسفته في محاربة الاستعمار والاستبداد والإقطاع، ودعوته الملحة لإيقاظ الشرق من سباته، ومحاولته الثورية لإعادة الروح إلى جسمه الهامد، وتنصيب العقل في مكانه المميز في الإسلام، وتحريره من الأوهام والخرافات والأساطير التي رانت عليه.

obeikandi.com

٥- لاشك أن هذه البحوث مجتمعة تكشف عن خبيئة الكاتب، وتشرح مضمون أفكاره ومنهجه وفلسفته في الحياة، وتعطي صورة واقعية إلي حد بعيد عن توجهاته وميوله، وقد بذلت فيها قصارى جهدي وخلاصة قراءاتي وتجاربي في الحياة، وما حصلته من خبرات الآخرين وأعني بهم أساتذتي الذين تلقيت العلم عليهم مباشرة، وتأثرت بأفكارهم ومنهجهم وعلى رأسهم د.زكي نجيب محمود (ت١٩٩٣) بلا منازع، أو غير مباشرة الذين قرأت لهم واستفدت من تجاربهم وهمومهم وأرائهم وثقافتهم ومشوارهم الطويل في الحياة، وفي مقدمتهم الشيخ محمد الغزالي (ت ١٩٩٦) الذي لم يسعدني الزمان لأن أتعرف عليه عن كثب؛فهو من أعظم الشخصيات الدينية التي ظهرت في القرن العشرين، ومن أصدقهم قولا وأفضلهم خبرة وأحسنهم جهادا وأصبرهم على مطالبه ودعوته الجهادية لرفع شأن الإسلام الحضاري الذي يبني ولا ينزوي في المعابد، ويتقدم ويأخذ زمام المبادرة وليس الذي يدعو إلى صبر الاستخذاء والهوان ، ويتقدم بقوة وفتوة يقتحم الصعاب والمخاطر، وليس إسلام الضعف والضعة والمذلة، الإسلام الذي يقفز بالمسلمين إلى ميدان النهضة وساحة التقدم ومدارج الرقي ومعراج السماء.

ولا أنسى أن أتقدم بوافر شكري واحترامي للزملاء الأعزاء الذين شجعوا جهودي، وأيدوا منهجي ووقفوا بجانبي، وكثير منهم راجع هذه الأبحاث مراجعة لغوية ونحوية، وناقشوني في كثير من القضايا التي طرحتها، ومنهجي الذي أتشيع له، وأذكر منهم المرحوم د. أمين راشد بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر والمعار إلى جامعة الجزائر، والشيخ شريفي بلحاج الجزائري ، والدكتور جلال موسي أستاذ الفلسفة بمصر، والصديق الدكتور صاحب جعفر أبو جناح أستاذ النحو العربي بجامعة بغداد، والدكتور منجد بهجت بدوي أستاذ الأدب العربي بجامعة بغداد، والدكتور علي حسن مزبان، أستاذ النحو العربي بجامعة البصرة، وقد عملنا سويا في كلية التربية بمدينة حجة، جامعة صنعاء ، فلهم عظيم تقديري ومحبتي، مع بعد الأوطان وتباعد المسافات وتنائي المكان،

بعد أن تفرقنا شرقا وغربا في بلاد الله، مازلت أحفظ لهم كل الود والمحبة والاحترام ، وأذكر فضلهم وما قدموه إليّ من تفسيرات لغوية ونصائح علمية على الرغم من اختلاف الرؤى وتباين الأمزجة وتعدد المناهج.

كذلك أتقدم بخالص الشكر لطلابي في الجزائر واليمن وسلطنة عمان، لما قدموه من مخطوطات وبخاصة ما يتعلق بالإمام ابن المرتضي، ومصادر عزيزة المنال ومراجع قيمة، ولا أغمط حقهم في المناقشات المفيدة التي كانت تدار بيننا، والجدال الحامي الذي عادة ما ينشأ بيننا داخل المحاضرات وخارجها، ويتسع له صدري لآخر مدى، وقد علمتني خبرة السنين حسن الإنصات، وفن الاستماع؛سمع الإدراك والفهم والاستجابة، ولاشك أن الاستفادة من العقل الجمعي أمر لا ينكره محب للفلسفة.

ولا يفوتني أن أشكر الأخ الأستاذ / مسعد شعير صاحب دار اليقين للنشربالمنصورة والقاهرة لحماسته البالغة لمؤلفاتي، وقيامه بطبعها في ثوب قشيب، وثوب فريد، وفقه الله وسدد خطاه في خدمة العلم والعلماء ومصر المحروسة..

ندعو الله العلي القدير أن يشد من أزرنا، ويعضد من عزيمتنا ويمنحنا الصبر وقوة التحمل ويهبنا من فيضه العميم قوة الأجسام وسلامة الجوارح وعموما كرم الصحة التي هي أعظم هدية من واجب الوجود.

اللهم لك الحمد والشكر على نعمك الوافرة التي لا تعد ولا تحصي وعطاؤك الفياض، يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾

والحمد لله رب العالمين، نعم المولى ونعم النصير.

محمد الزيني

مدينة روي - سلطنة عمان

في ٥ شوال ١٤٣١هـ

١٥ سبتمبر ٢٠١٠م

obeikandl.com